سلسلة كتيبات شبكة بينونة

فضائل وآداب

سماع القرآن

الشيخ إبراهيم بن عبدالله المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

فضائل وآداب
تلاوة القرآن

الشيخ إبراهيم بن عبد الله المزروعي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet
www.baynoona.net

بسم الله الرحمان الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما بعد؛

فإننا نحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نعمة الإسلام، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل، كما نسأله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل ذلك في موازين أعمالنا يوم القيامة، **كتابة اليوم بعنوان: فضائل وآداب سماع القرآن.**

إن فضل القرآن العظيم وشرفه وعلوّ مكانته أمر لا يخفى على المسلمين، فهو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، هو كلام خالق الخلق أجمعين، ولقد اقتضت سنة الله عَزَّوَجَلَّ في خلقه أن يكون سماعهم واتباعهم للقرآن العظيم سببا

لنجاتهم، والبشرية بأسرها في حاجة إلى نور القرآن لتصان كرامة الإنسان، وأشد الناس احتياجاً إليه هم المسلمون، ذلك أنهم لا يستطيعون أن يواجهوا مشاكل عصرهم وزمانهم إلا بالقرآن العظيم، يعتصمون به ويتلونه ويسمعونه ويقيمون أحكامه في حياتهم، ومن هنا كانت أهمية هذا الموضوع -موضوع الكتابة فضائل وآداب سماع القرآن-، والقرآن هجره كثير من المسلمين، هجروا القرآن استماعا، ارتبط استماع القرآن في أذهان كثير من الناس بالأحزان والمآتم بل أقبل الناس على سمع اللهو والغناء ومزمار الشيطان، وهجروا سماع القرآن العظيم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من هنا تأتي هذه الكتابة لحث المسلمين على الرجوع إلى كتاب ربهم وتلاوة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، والاستماع لهذا القرآن العظيم.

الاستماع للقرآن العظيم له آداب وله أحكام، فنتكلم من خلال هذه الكتابة عن تعريف السماع لغة واصطلاحا، وأقسام الناس في سماع القرآن، ومظاهر هجر سماع القرآن، وعدم الاستماع له نذكر بعضا من آداب استماع القرآن، وبعضا من فضائل استماع القرآن، وما هو حكم الاستماع للقرآن؟

في البداية نذكر تعريف السماع في لغة العرب، في لسان العرب كل ما ذكره علماء اللغة في معنى السماع قالوا: السماع في اللغة مصدر مشتق من الفعل سمع الذي يدل على إدراك شيء بالأذن، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٧]، يقال سمع الشيء سمعا وسماعا، وقد يجمع على أسماع.

أما استعمالات السمع في القرآن فجاءت لعدة معان تتعلق بموضوع الكتابة، فيأتي السمع في القرآن بمعنى

القبول والعمل، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النَّمل: ٨١]، فهنا بمعنى القبول والعمل تسمع إلا من يؤمن بها ما تسمع إلا من يؤمن بها، وأراد بالإسماع ها هنا القبول والعمل بما يسمع؛ لأنه إذا لم يقبل ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يسمع، أيضا يأتي السمع في القرآن بمعنى الاستجابة يأتي السمع في الشرع بمعنى الاستجابة كما في قول المصلي: سمع الله لمن حمده أي: أجاب الله حمده وتقبله، كما في دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **اللهم إني أعوذ بك من دعاء لا يسمع** »[(١)]، لا يسمع أي لا يستجاب ولا يعتد به، فكأنه غير مسموع، أيضا يأتي في القرآن السمع يعبر عنه تارة عن الأذن كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البَقَرَة: ٧] أي طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان فلا يسمعون ما يفيدهم، ويعبر

(١) رواه الترمذي (٣٤٨٢)، والنسائي (٥٤٦٧)، وأبو داود (١٥٤٨)، وابن ماجه (٣٨٣٧).

أيضا بالسمع تارة عن الفعل إدراك الشيء بالأذن كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٢] يعني عن الفعل، وهكذا يعبر بالسمع تارة عن الفهم كما في قولهم لم تسمع ما قلت أي: لم تفهم، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] أي فهمنا وسمعنا، هكذا كما في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأَنفَال: ٢٣] أي: أفهمهم بأن جعل لهم قوة يفهمون بها.

أما سماع في اصطلاح العلماء فقد عرفه الحافظ المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مقدمة فيض القدير شرح الجامع الصغير قال: «**السماع فهم السامع ما كشف به من البيان**» والمقصود هنا سماع التدبر والتفكر لا مجرد السماع، وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كلام أيضا في كتابه مدارج السالكين يقول: «**وحقيقة السماع تنبيه القلب على معاني المسموع، وتحريكه عنها طلبا وهربا وحبا**

وبغضا» [٢]، ثم أيضا نقول فالاستماع كما مر هو: قصد السماع بغية فهم المسموع أو الاستفادة منه، الاستماع للقرآن وقصد السماع بغية فهم المسموع والاستفادة من المسوع الذي يتلى، وهنا فائدة الفرق بين السماع والاستماع والإنصات للقرآن، السماع هو مجرد استقبال الأذن لذبذبات صوتية من مصدر معين دون إعارتها انتباها مقصودا، قد يكون السماع بقصد أو بدون قصد، فالإنسان يسمع كل ما يقال حوله، وقد ينتبه إلى ما يسمع وقد لا ينتبه هذا معنى السماع، أما الاستماع فهو مهارة يعطي فيها المستمع اهتماما خاصا اهتماما مقصودا لما تتلقاه أذنه من أصوات، فهو أعلى من السماع، ومرتبة الاستماع أعلى من السماع لأن الاستماع لابد أن يتوفر فيه القصد، ولذلك أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ عند تلاوة القرآن إذا تلي القرآن علينا فقال الله عَزَّوَجَلَّ:

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٧٨).

﴿فَٱسۡتَمِعُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ولم يقل: اسمعوا قال: ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ﴾، أما الإنصات فهو مرتبة أعلى من السماع والاستماع لأن فيه تركيزا أكبر من الانتباه والإصغاء والسكون من أجل هدف محدد، إذًا فيه انتباه إصغاء سكون هذا هو الإنصات؛ لذلك قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] للقرآن، فالإنصات هو المرتبة الأعلى فيه تركيز أكبر تستقبل الأذن المسموع، ويعطي أيضا المستمع اهتماما خاصا بل يكون فيه تركيز أكبر من الانتباه والإصغاء والسكون، هذه فائدة تتعلق أيضا بموضوع سماع القرآن.

نتكلم عن مسألة مهمة وهي أقسام الناس في سماع القرآن، انقسم الناس مسلمهم وكافرهم برهم وفاجرهم في سماعهم للقرآن إلى أربعة أصناف، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى (أول المجلد السادس عشر في ست صفحات) تكلم

عن أقسام الناس في سماع القرآن:

الصنف الأول من الأصناف الأربعة: معرضٌ ممتنعٌ عن سماع القرآن، وهؤلاء هم أئمة الكفر كما قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ [فُصِّلَت: ٢٦]، هؤلاء أئمة الكفر معرض ممتنع عن سماع القرآن هذا الصنف الأول.

الصنف الثاني: سمع الصوت ولم يفقه المعنى، وهؤلاء هم عامة الكفار من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وأمثلة ذلك كثيرة في الآيات القرآنية، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا ﴾ [الأنعام: ٢٥] إلى آخر هذه الآيات، مثل هؤلاء يسمعون الصوت ولا يفقهون المعنى، وهؤلاء شرٌ عند الله عَزَّوَجَلَّ من شرار الدواب؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ أعطاهم أسماعا وأبصارا وأفئدة ليستعملوها في طاعة

الله، فاستعملوها في معاصيه هؤلاء لا خير فيهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢ - ٣٢]، فدلت الآيات على أنه ليس كل من سمع وفقه يكون فيه خير بل قد يكون يفقه ولا يعمل بعلمه ولا ينتفع به ولا يكون فيه خير.

الصنف الثالث من أقسام الناس في سماع القرآن: فقه المعنى ولم يقبله، وهؤلاء اليهود كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِ﴾ [النِّسَاء: ٤٦] إذًا هؤلاء فقهوا المعنى ولم يقبلوه، ولا يقتصر الأمر على اليهود فقط في هذا الصنف الثالث من فقه المعنى ولم يقبله ولم يقبل القرآن، لا

يقتصر على هؤلاء، ففي عالمنا اليوم نجد طوائف من العلمانيين والعقلانيين وغيرهم الذين يفقهون المعنى ولا يقبلونه، منهم من يفقه المعنى ولم يقبله.

الصنف والأخير من أقسام الناس في سماع القرآن: سمع القرآن سماع فقه وقبول، هؤلاء هم المؤمنون بالقرآن العظيم، منقادون له ظاهرا وباطنا، وقد أثنى الله عَزَّوَجَلَّ عليهم في مواضع كثيرة في القرآن، منها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المَائِدَة: ٨٣]، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التَّوبَة: ١٢٤] آيات كثيرة، هذه أقسام الناس في سماع القرآن.

نتكلم عن مظاهر هجر القرآن وعدم الاستماع له، ما هي مظاهر عدم الاستماع للقرآن؟ من مظاهر هجر

استماع القرآن لدى الكفار تارة بالإعراض عن سماع القرآن، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم في كتابه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف : ٥٧] إذًا من مظاهر هجر استماع القرآن لدى الكفار الإعراض عن سماع القرآن الاستكبار عن سماع القرآن، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لُقمَان : ٧]، الاستكبار عن سماع القرآن، ومن مظاهر هجرة القرآن لدى الكفار: التواصي بعدم سماع القرآن قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فُصِّلَت : ٢٦] لا تستمعوا يتواصون بعدم سماع القرآن، ومن مظاهر أيضا هجر سماع القرآن عند الكفار التعامي التصامّ عن القرآن، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

[يُونُس : ٤٢]، وهكذا أيضا من المظاهر الاستهزاء حال سماع القرآن، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأَنفَال : ٣١]، استهزاء عند سماع القرآن الضجر والتأفف، بغض سماع القرآن وكراهية قارئه، وهكذا التهاون والتغافل عن سماع الوحي، هذه كلها مظاهر هجر استماع القرآن لدى الكفار.

أما مظاهر هجر استماع القرآن لدى المسلمين؛ لأن هجر استماع القرآن لا يقتصر على الكفار أو المنافقين بل يتعداه إلى فئات من المسلمين الذين تشبهوا بهؤلاء بإعراضهم عن سماع القرآن مع إيمانهم به، وهذا الإعراض عن سماع القرآن لدى المسلمين في عدة مظاهر:

فمن مظاهر هجر استماع القرآن لدى المسلمين

التشاغل بالغناء والمعازف عن استماع القرآن، وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فصّل كثيرا في هذه المسألة كما في إغاثة اللهفان، ووصف لنا تأثير الغناء على الناس في صدهم عن استماع القرآن العظيم، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«ومن مكايد عدو الله ومصايده، التي كاد بها من قلّ نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين، سماع المكاء، والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن»** [٣]،إلى أخر كلامه، ويضيف ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضا في موضع آخر أيضا من كتابه إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، قال هناك رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا الفرق بين ذوق السابقين من السلف الصالح المتمثل في حب استماع القرآن وبين المتأخرين، كثير من المتأخرين المتمثل في حب سماع مزمار الشيطان قال: والسلف الصالح كانوا يجدون الأذواق الصحيحة

(٣) إغاثة اللهفان (١/ ٣٤٤ وما بعدها).

المتصلة بالله في الأعمال الصحيحة المشروعة وفي قراءة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وتدبره واستماعه وفي مزاحمة العلماء بالركب وإلى غيرها إلى آخر كلامه، ويقارن بين هؤلاء الذين يستمعون القرآن وبين غيرهم من استبدل سماع القرآن بسماع المعازف والغناء وغيرها، ومن أراد يرجع إلى كلامه يرجع في إغاثة اللهفان في المجلد الأول.

إذًا من مظاهر هجر سماع القرآن لدى المسلمين التشاغل بالغناء والمعازف عن استماع القرآن، كذلك أيضا سماع الطرب، من مظاهر هجر استماع القرآن طرب السماع إلى صوت القارئ، القارئ للقرآن الانفعال بجمال الصوت وعذوبته الاشتغال به، سماع الصوت سماع الطرب هذا، الاستماع به عن تدبر آياته والانتفاع به فلا يتعظون في مواضع العظة ولا ينتهون في مواضع النهي بل أشد من ذلك تراهم ينفعلون برفع

الأصوات بعبارات مثل: الله الله، الله يفتح عليك يا سلام زدنا يا سيدنا، وهكذا يقولون، هذا سماع الطرب لأنه يطربهم فلا يستمعون القرآن استماع فهم وتدبر، وإنما استماع سماع صوت القارئ الانفعال بجمال الصوت، وهذا أيضا مظهر من مظاهر هجر استماع القرآن، كذلك من المظاهر التشاغل عن استماع القرآن تراهم يتحدثون يضحكون ربما تلفظوا ببذيء الكلام والقرآن يتلى على مسامعهم أو يلعبون النرد أو الألعاب الأخرى والقرآن يتلى أو يسب أحدهم الآخر ويشتم والقرآن يتلى على مسامعه، التشاغل عن استماع القرآن، القرآن يتلى وهم مشغولون عنه، هذا مظهر من مظاهر هجر استماع القرآن، فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدي الجميع إلى الرجوع إلى سماع القرآن الكريم.

نأتي أيضا لمسألة أخرى: آداب استماع القرآن، لا شك أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر النبيين والمؤمنين بالاستماع،

والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢]، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ فهذا أمر وترغيب في الاستماع للقرآن الاستماع الصحيح، بل من أهل العلم كسفيان الثوري وغيره قد جعل بداية العلم المؤدي إلى العمل جعل الاستماع الصحيح للقرآن هو بداية العلم المؤدي إلى العمل، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أول العلم الاستماع، ثم الإنصات ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر**»(٤)، إذًا القارئ والسامع شريكان في فضل التلاوة وآدابها إلا أن القارئ لانشغاله بنطق الآيات ومخارج الحروف وحرصه على النطق الصحيح وخوفه الخطأ وخاصة إذا كانت قراءته في جمع من الناس، فله آداب والقارئ آلته اللسان، أما

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١/ ٢٨٧)، وجاء بسند صحيح عند الدارمي في السنن رقم (١٠٧١) في بعض النسخ، ورقم (٣٣٠) بلفظ آخر بسند صحيح.

المستمع فآلته الأذن يسمع من أذنه التي تصب في القلب والعقل، فأذنه تسبق قلبه فلهذا الاعتبار له آداب خاصة بالمستمع وبشكل عام أن آداب الاستماع هي آداب التلاوة مع بعض الفروق بينهما بسبب ظروف السماع.

وقد ذكر العلماء آداب استماع القرآن منها: **تعظيم المتكلم** ينبغي لسامع القرآن أن يحضر هو في قلبه المتكلم فهو رب الأرباب مالك كل شيء قيوم السموات والأرض سبحانه وتعالى، القارئ يستحضر في قلبه عظمة المتكلم عَزَّوَجَلَّ، يستحضر صفات الكمال والجمال والجلال في قلبه وهو يستمع إلى كلام رب العزة سبحانه وتعالى، هذا الأدب مهم جدا من آداب استماع القرآن تعظيم المتكلم.

الأدب الثاني: استشعار عظمة الكلام وعلوه، يستشعر عظمة القرآن أن العظمة للقرآن هي من عظمة المتكلم

به سبحانه وتعالى، فهو ليس كلام البشر لا يقاربه كلام أحد من البشر بوجه من الوجوه كلام رب العالمين، يستشعر عند الاستماع للقرآن تعظيم المتكلم استشعار عظمة الكلام وعلوه.

الأدب الثالث: حضور القلب عند السماع، حضور القلب يكون القلب متأهبا في شوق إلى تلقي ما تسمعه الأذن، لا ينصرف عنه فقد تكون الأذن سامعة والقلب مشغول بهموم أو بخواطر، لذلك ينبغي على مستمع القرآن أن يطرد حديث النفس أثناء استماعه.

الأدب الرابع من آداب استماع القرآن: تدبر المسموع بعد حضور القلب مباشرة ربما لا يتفكر في غير القرآن لكنه يقتصر على سماعه دون تدبر المقصود الأعظم من القراءة والسماع هو التدبر، تدبر القرآن والناس في انتفاعهم بالقرآن أحوال ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أيضا في كتابه مدارج السالكين[(٥)]، نذكرها باختصار أحوال الناس في انتفاعهم بالقرآن، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناس ثلاثة: رجل قلبه ميت فذلك الذي لا قلب له فهذه ليست الآية ذكر في حقه، الثاني: رجل له قلب حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات المتلوة قلبه مشغول عنها بغيرها فهو غائب القلب ليس حاضرا، هذا أيضا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه، رجل له قلب حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات المتلوة هذا الثاني، الثالث يقول: رجل حي القلب مستعد تليت عليه الآيات فأصغى بسمعه وألقى السمع وأحضر قلبه ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب ملقي السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة، فالأول رجل قلبه ميت الأول يقول بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر، الثاني الذي هو رجل له قلب

(٥) مدارج السالكين (١/ ٤٧٥).

حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات الثاني يقول: بمنزلة البصير الطامح ببصره إلى غير جهة المنظور إليه فكلاهما لا يراه، الثالث كما أشار هو رجل حي القلب مستعد تليت عليه الآيات فأصغى بسمعه وألقى السمع وأحضر قلبه لم ينشغل بغيره فهم ما يسمعه هذا الثالث يقول: بمنزلة البصير الذي قد حدق إلى جهة المنظور وأتبعه بصره وقابله على توسط من البعد والقرب فهذا هو الذي يراه.

أيضا من آداب استماع القرآن ذكرنا أربعة: تعظيم المتكلم، استشعار عظمة الكلام وعلوه، حضور القلب عند السماع، تدبر المسموع.

الخامس من آداب استماع القرآن: تفهم الآيات المسموعة، يتأمل معاني أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله.

الأدب السادس: التخلي عن موانع الفهم لأن كثيرا من الناس من يتلو القرآن أو يستمع للقرآن لكن توجد موانع للفهم، أن تكون الهمة منصرفة إلى تحقيق الحروف، يستمع السامع وهمه منصرف إلى تتبع القارئ كيف يخرج الحروف من مخارجها، هذه من موانع الفهم للقرآن، يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد جمد عليه ثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه بصيرة ومشاهدة، يقلد مذهبا سمعه يقلد هذا المقلد لمذهب جمد عليه، فهذا من موانع الفهم، أو أن يكون مصرا على ذنب متصفا بكبر أو مبتلى بهوى في الدنيا مطاع بسبب ظلمة القلب فيه صدأ في قلبه هذا من موانع فهم القرآن، يعتقد حصر معاني آيات القرآن فيما تلقنه من تفسير، لا ينظر إلى التفاسير الأخرى لا يفهم المعنى إلا بفهم واحد.

الأدب السابع من آداب استماع القرآن: أن يقدر في نفسه أنه هو المقصود بكل آية سمعها فإن سمع أمرا أو نهيا فليستشعر أنه المقصود بذلك الأمر أو النهي، إن سمع وعدا أو وعيدا قدر كذلك أنه الموعود أو المتوعد وإن سمع قصص الأولين في القرآن قدر أنه المقصود بسياق العبر والعظات وحسن الأخلاق التي بها يقوم نفسه على هداها، إذًا هذا أدب مهم للمستمع للقرآن يقدر في نفسه أنه المقصود بكل آية سمعها، وقد أكد هذا المعنى الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: **«إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه فإنه خاطب منه لك على لسان رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **»** (٦).

ثامنا من آداب استماع القرآن: التأثر بالآيات

(٦) الفوائد (ص١٥).

المسموعة، يتأثر قلبه بالآيات فإذا سمع آيات الترهيب خاف، يرتعد خوفا عند الوعيد وذكر النار ويستبشر فرحا عند الوعد وذكر الجنة، يطأطئُ رأسه خضوعا عند ذكر الله تعالى وأسمائه وصفاته، يخفض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالة الكفار ما يستحيل على الله عَزَّوَجَلَّ، كذكرهم لله تعالى ولدا وصاحبة وغير ذلك من الأمور الدالة على عدم تعظيمهم لله تعالى.

تاسعا من آداب اجتماع القرآن: الترقي في استماع القرآن، يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله تبارك وتعالى لا من نفسه إن كان قارئا ولا من غيره إن كان سامعا.

وأخيرا من آداب الاستماع للقرآن: التبرؤ من الحول والقوة حال السماع؛ إذ حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يتحاشى النظر إلى نفسه بعين الرضا والتزكية، فإذا سمع آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد لنفسه بالصلاح بل يتشوق إلى أن يلحقه الله عَزَّوَجَلَّ بهم،

وإذا سمع آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا، هذه آدابٌ عشرة من آداب الاستماع للقرآن.

نذكر بعضا من فضائل استماع القرآن في أواخر هذه الكتابة.

من فضائل استماع القرآن، هذا القرآن العظيم متعبد بسماعه لأنه كتاب مبارك ومن بركة أنه مصدر للخير العميم، فهو أيضا يتعبد بسماع القرآن، وكان ﷺ يحب أن يسمع القرآن من غيره، وأمر عبد الله ابن مسعود أن يقرأ عليه القرآن ويستمع له، فخشع ﷺ لسماع القرآن منه، طلب استماع القرآن من القارئ حسن الصوت الذي يجيد التلاوة أمر متفق على استحبابه، فهو عادة الأخيار والصالحين من سلف هذه الأمة.

استماع القرآن من فضائله أنه سبب لرحمة الله عَزَّوَجَلَّ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] فاستماع القرآن سبب لرحمة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد، استماع القرآن سبب لهداية الثقلين، الله عَزَّوَجَلَّ بين ذلك أن هذا القرآن مصدر الهداية في الدنيا والآخرة، من تمسك به تلاوة واستماعا وتدبرا وعملا فلن يضل ولن يشقى، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩]، وهكذا أيضا من فضائل الاستماع للقرآن أنه سبب لخشوع القلب وبكاء العين، المؤمنون عند تلاوتهم لكتاب الله أو استماعهم تخشع قلوبهم تذرف عيونهم يقبلون على ربهم راغبين راهبين، ومن ذنوبهم مستغفرين، هذا أمر مهم جدا.

نتكلم في مسألة أخيرة من خلال هذه الكتابة عن حكم الاستماع للقرآن، فالأصل أن الاستماع إلى القرآن الكريم حين يقرأ هذا واجب، هذا هو الأصل إن لم يكن هناك عذر مشروع لترك الاستماع،

وهذا القول هو قول أكثر المفسرين واستدلوا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤]، هذا أمر من الله عَزَّوَجَلَّ فهذا هو الأصل أنه واجب، الاستماع للقرآن إذا تلي إلا من كان عنده عذر مشروع لترك الاستماع وسنشير إلى بعض هذه الأعذار، فهذا الوجوب الذي ذكره أهل العلم وأكثر المفسرين مستدلين بهذه الآية هو مطلق أو مقيد عند أهل العلم؟، ولا شك أنه مقيد قد يؤدي حمل هذه الآية على ظاهرها والقول بالوجوب إلى حرج: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] فالآن إذا تلي القرآن وحملنا

هذا الأمر بمطلقه على الوجوب يكون فيه حرج، قد يقرأ هذا القرآن بمحضر صانع في صنعته ويشتغل في صنعته ويتلى القرآن، فهذا يترك صنعته ويستمع إذا قلنا بالوجوب فيه حرج، أو مدرس مدرسة يشرح للطلاب وتلي القرآن فيترك تدريس هذا فيه حرج، أو في الجامعة مثلا فلو وجب عليهم وعلى أمثالهم الاستماع وجوبا مطلقا لوقع الناس في الحرج، وخاصة ما نراه أحيانا من قراءة القرآن في المساجد وفي الشوارع وعند بائعي أشرطة التسجيل، ثم قد يقرأ قارئ في الصلاة جهرا فهل يجب على الناس الاستماع له، ربما وقعت التلاوة بصوت مرتفع في أماكن الاشتغال يكون السامع في حالة اشتغال كالأسواق التي بنيت لتعاطي أسباب الرزق، أو البيوت في حالة انشغال أهل البيت في الكنس والطبخ والتنظيف وغير ذلك، هكذا نجد صورا كثيرة يقرأ فيها القرآن جهرا ولا يمكن الجمع بين استماع القرآن وأداء

المصالح الأخرى، لا يمكن الجمع بينها في آن واحد فلم يجعل الله عَزَّوَجَلَّ قلبين في جوف البشر، ولذلك فالآية ليست على عمومها الظاهر مطلقا، والخلاصة من كلام أهل العلم بالنسبة للاستماع للقرآن يمكن الجمع بين الأقوال في مسألة الإنصات للقرآن بأن يقال الاستماع والإنصات للقرآن يدور حكمه بحسب المقام الذي يقرأ فيه، فإن كان في الصلاة أو كان هذا المقام مقام قراءة للقرآن، كأن تنتفي عن السامع موانع الإنصات يجب عليه الاستماع والإنصات، أما ما عدا ذلك من الأحوال المختلفة التي يتنقل بينها المسلم من عمل أو حديث أهل أو جلوس على طعام، أو تدارس للفقه أو العلم في المساجد والمدارس والجامعات أو ما أشبه ذلك، فالاستماع والإنصات يستحب ولا يجب، ويعذر المستمع بترك الاستماع لتلاوة القرآن، ولا يكون آثما بذلك وإنما سقط إثم ترك الاستماع

للقرآن في حالات الاشتغال دفعا للحرج عن الناس، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

هذا ما أردنا أن نذكره من خلال هذه الكتابة تذكيرا لنا ولكم بأهمية الاستماع للقرآن العظيم، ذكرنا تعريف الاستماع لغة وأشرنا إلى أقسام الناس في سماع القرآن، وذكرنا بعضا من مظاهر هجر استماع القرآن وآداب استماع القرآن، وفضائل استماع القرآن وحكم الاستماع للقرآن.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يفقهنا وإياكم في ديننا، كما نسأله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء وفتنة، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفق ولاة أمورنا لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقهم البطانة الصالحة، اللهم إنا نسألك علما نافعا وقلبا خاشعا ودعاء مستجابا.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمّد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتيبات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي:

https://www.baynoona.net/ar/all/e-books